جمعية أمسيا مصر (التربية عن طريق الفن)
المشهرة برقم (٥٣٢٠) سنة ٢٠١٤
مديرية الشئون الإجتماعية بالجيزة

العلاج بالفن: "تطور اللعب والعمل الابتكاري"

Art Therapy: development of play and creative work

بحث إعداد

أ.د / مصطفي محمد عبد العزيز
أستاذ علم النفس ، ومادة تحليل التعبير الفنى
لفنون الأطفال والبالغين (المتفرغ)
كلية التربية الفنية – جامعة حلوان

أ .د / عفاف أحمد محمد فراج
أستاذ علم نفس التربية الفنية (المتفرغ)
كلية التربية الفنية
جامعة حلوان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة:

في هذا البحث يتم عرض جهود الباحثة Caroline Case، حيث تصف الباحثة تطور اللعب والعمل الابتكاري مع فتاة تبلغ من العمر ١٠ سنوات تشخيصها المرضي أنها تعاني من خلل في الانسجام، كما أنها تعاني من نوبات انفعال غاضبة وغير قادرة على اللعب أو تكوين صداقات. وشمل جزء من العمل الأسري المصاحب التفكير حول خيالات من الماضي والاكتئاب الأموي المستمر. ومن أساسيات العملية العلاجية معها استخدام لعبة المضرب لـــ Winnicott ورسومات لـــ Salvador Dali ، واللتان توفران الفرصة للعب. ويشير العمل العيادي إلى كيف أن العلاقة الناشئة مع المعالج تسمح بتفعيل حيوية الحالة النفسية الداخلية ومن ثم تتحول إلى علاقات خارج الأسرة وتؤدي إلى انتقال ناجح إلى المدرسة الثانوية.

الباحثة Caroline Case مُعالجة بالفن ذات خبرة ومعالجة نفسية للأطفال والمراهقين تعمل ضمن فريق CAMHS وفي الممارسات الخاصة وكمشرفة علاجية. نشرت عدد من الكتب والمقالات البحثية في العلاج بالفن، كما أنها تكتب للجريدة الدولية للعلاج بالفن "إيتسكيب" International Journal of Art Therapy: Inscape وجريدة العلاج النفسي للطفل Journal of Child Psychotherapy.

يذكر Winnicott (1971 :50-1) أن العلاج النفسي المستمر والمتعمق ممكن إجراؤه بدون أعمال تفسيرية. فاللحظة الفارقة هي التي عندها يُدهش الطفل نفسه.

تمهيد : يتناول هذا البحث عمل علاجي محوري في تطور اللعب والأعمال الابتكارية باستخدام المواد في علاقة مع المُعالج. في حالة الطفلة Dorothy (عمرها عشر سنوات تعاني حالة عدم التوافق والانسجام (dyspraxia) كان العمل مع تفسيرات التحول ونقل العلاقة إلى مستوى لفظي. ليس ذو دلالة بارزة مثل "العمل معاً". إننا لعبنا سوياً ألعاب الكرة. وألعاب الكرة هذه ممكن أيضاً أن تعمل كاستعارة للوفاء بحاجة هؤلاء الأطفال الذين من الصعب عليهم الوصول إلى منتصف الطريق وذلك من أجل الوصول بهم إلى البدء في العملية الابتكارية الخاصة بهم كبداية أولية لأن يصبحوا قادرين على العيش بشكل ابتكاري. ويتطلب ذلك تحرك واعي للأمام والخلف، عملية تشبه لعب الكرة لكي نأخذ في الاعتبار مقابلة الطفل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للمُعالج له والتوافق معه. اللعب ممكن أن يمثل علاجاً في حد ذاته عندما يمارس مـــا يشـــغل الفكر من خلال اللعب ووجود الحل في ذلك Wrote on Play (Winnicott 1971 : 38)

إن العلاج النفسي يحدث في تداخل بين منطقتين للعب، منطقـــة المـــريض ومنطقـــة المعالج. فالعلاج النفسي ينبغي إجراؤه مع اثنين يلعبان معاً. إن النتيجة الطبيعية لذلك هي أنه عندما يكون اللعب غير ممكن، إذاً فالعمل الذي يؤديه المعالج يوجه مباشـــرة نحـــو إخـــراج المريض من حالة عدم قدرته على اللعب إلى حالة القدرة على اللعب.

تذكر Caroline Case إن لعب الكرة وما شابه يسمح بنمو الحالات الذهنية المتداخلة المتباينة. من الصفات الجيدة للكرة في اللعب أنها تتيح التجارب في العلاقات بما فـــي ذلـــك الفكاهة والمرونة والاستمتاع ص١٠٤ بالمفاجآت بما يمثل الاستجابة اللحظية. إن لعب الكرة أعطى الطفلة Dorothy حالة الاستعداد للاتصال مع تخيلها الخاص. ربما أيضاً نفكـــر مـــن الخارج صعوبة لعب Dorothy وأنا مع ذاتها الطفولية لكن من الداخل هناك مرونة وحصانة مثل الكرة المرنة. بهذه الطريقة كل منا كاثنين من الأمهات ممكن أن نطـــرح جانبـــاً ذاتهـــا الطفولية واللعب معاً.

Salvador Dali والسيريالية Dali and the Surrealists : من الجوانب البارزة في علاج الطفلة Dorothy هي أعمال السيرياليين الفنية. وقد ناقشت فـــي مقـــالات بحثية سابقة تأثير الفنانين الآخرين علـــى ســـبيل المثـــالMonet (Case 1987) (Case 1996, 2000) وكذلك Holbein على الأعمال الفنية للأطفال في العلاج وتـــذكر Case. إنني رأيت تأثر Dorothy بصفة خاصة بالصور في الأعمال الفنية لـــ "Salvador Dali" والتي أحسست أنها أعطتها الانطباع للتخيل وعملت أيضاً على أنها نموذج لتحـــرر الأفكـــار والمشاعر والانطباعات التي لم يكن لها اسم محدد. كـــان الفنـــان Salvador Dali يـــرتبط بالسيرياليين في أواخر فترة العشرينات من القرن العشرين حتى نهاية فترة الثلاثينيات. فـــي فترة العشرينيات كانت هناك تجارب للذاتية في منهج السيرالية بما يعني الكتابـــة أو الرســـم بدون أي تحكم في الشعور. فقد كان السيرياليين ويحاولون تحرير أنفسهم من "قيود الســـبب". وتلك التقنية السيريالية لها أثر ملموس في ذلك على الأقل من الناحية النظرية. إنها تنظر إلى ثورة لا شعورية لـــ "اللاشعور"، شيئاً ما مثل الكتابة الذاتية (Ozenfant 1952 : 132).

(AmeSea Database – ae – January- 2021- 0448)
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الانجذاب لصور فنان معين ربما يمثل استثمار لا شعوري يرتبط بمطابقة لخبرة داخلية بالإضافة إلى بدايات لا شعورية لصناعة الصورة الخاصة لفردٍ ما. إن الفنان Salvador Dali يبدو أن علاقته بالحركة السيريالية كانت علاقة متناقضة. وفي النهاية قُضي على هذه العلاقة بسبب نجاحه التجاري في فترة الأربعينات. لكن ومع ذلك كان في البداية معجب جداً بقوة تخيله.

ربما أنه مع Salvador Sali كانت المرة الأولى التي فُتحت فيها نوافذ العقل على مصراعيها (Breton quoted in Masters 1995 : 5). إن القصد من السيريالية هو تحرير العقل في شكل ثورة ثقافية. إن السيريالية ليست شكلاً من أشكال الشعر، إنها صرخة للعقل لكي يعود إلى نفسه (Breton quoted in Harrison and Wood 1992).

خلل الانسجام والتوافق Dyspraxia: إن خلل التوافق والانسجام كحالة مرضية يعمل على تقييد وإعاقة التقدم الطبيعي والتعليمي للطفل ذلك لأنه يتضمن كل تلك الجوانب للأداء الوظيفي التي نصفها بأنها ترتبط بـ "الفعل" أو "الأداء". الأطفال المصابون بهذه الحالة ربما يواجهون مشكلات جسيمة في الحركة وصعوبات في التتابع في الوقت والتحديد الزمني، كما أن ذاكرتهم مشوشة، لا يستطيعون تذكر أين وضعوا الأشياء أو تذكر ما الذي تعلموه، كما ينسون المعلومات ويصبحون فاقدي التوجه. يواجهون صعوبة في اللعب بشكل إبداعي مع الآخرين لكن لا يحبون اللعب بمفردهم. في الماضي، كان هؤلاء الأطفال المصابون بهذه الحالة المرضية غالباً ما يُوصفون على أنهم مرتبكون ولا يتلقون المساعدة المناسبة. ربما يواجهون أيضاً صعوبة في الكتابة بشكل عادي وفي تنظيم الأفكار، وربما – على سبيل المثال– يكتبون على جانب واحد فقط في الكراسة للتمرينات. وكانوا يتلقون علاج تأهيلي ونفسي ومعاونة خاصة داخل المدارس.

:Dorothy

كانت Dorothy تبلغ عشر سنوات تقريباً عندما تم تحويلها كحالة مرضية إلى خدمة الصحة العقلية للأطفال والمراهقين "CAMHS". هي فتاة شقراء تكوينها البدني جيد لكن قدرتها على الاتصال ضعيفة وقليلة الكلام، كانت تقول فقط "أنا لا أعرف" أو "لا أضع في بالي". في اللقاءات الأسرية كان إحساسها خامل وخاوي وتبدو شديدة الانطواء على نفسها

(AmeSea Database – ae – January- 2021- 0448)
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي حالة مكتئبة. تشخيصها المرضي يذكر إصابتها بحالة "انعدام الانسجام والتوافق" عندما كانت تبلغ من العمر حوالي ست سنوات. كانت تعاني ضعف قصير المدى للذاكرة وضعف في التنسيق وخلل في الانسجام اللفظي التنموي، ذلك أن هناك صعوبات شفهية لديها تؤثر في الحركيات الضرورية للكلام. كما أنها كانت تعاني صعوبة في ابتلاع الطعام. وتشير جوانب الضعف اللغوي لديها إلى عدم نضج نمو اللغة التعبيري لديها. كانت تتلقى معاونة تعليمية خاصة في المدرسة بسبب صعوبات التعلم الناتجة عن حالتها هذه. أيضاً كانت تظهر عليها أعراض حالة Asperger المرضية فيما يتعلق بالتغير والضعف في التخيل وكانت غير قادرة على التجسيد البصري.

يصف Damasio (1994) كيف أن مشاعرنا الأولية – التي هي غريزية غير منظمة – تستخدم كجوانب تدعيم لشعورياتنا الثانوية التي نكتسبها من الخبرات. إن الوعي بالتغيرات في الجسم يرتبط بالأحاسيس التي يُطلق عليها هذا الباحث "الدلالات الجسمية". فعندما نُقدم تبرير أو نصنع قرار، فإننا نستدعي معارفنا الماضية المخزنة في العقل في شكل صور. هذه تستدعي من الذاكرة وتُترجم إلى لغة وتُستخدم مع اللغة في رد الفعل على المواقف في حينه. بهذه الطريقة نجد ترابط متداخل بين كل من الصور المُستدعاه والصور الحالية والتغيرات الجسمية والأحاسيس، داخل عملية التفكير. ربما يساعدنا ذلك في فهم الصعوبات اليومية التي يواجهها هؤلاء الأطفال المصابون بخلل في التوافق والانسجام. مثال على ذلك ربما يتمثل في ارتداء الملابس كل صباح والذي يرتبط بحركيات معينة والتي يواجه فيها هؤلاء الأطفال صعوبة في أدائها. المعالجة التأهيلية لـ Dorothy أعطتها نصيحة حول نظام كيفية ارتداء ملابسها، فهي مازالت تواجه صعوبة كبيرة في ذلك وفي حاجة إلى إشراف مستمر. ومن نتائج هذه صعوبة كبيرة في ذلك وفي حاجة إلى إشراف مستمر. ومن نتائج هذه الصعوبة الحركية أنها رفضت الذهاب إلى السباحة في المدرسة لأنها لم تستطع ارتداء ملابسها وخلعها بنفسها.

في أثناء اللقاء الأسري الأول مع أبويها وثلاثة هم أشقاؤها، اتضح أن والدة Dorothy كانت تعاني من الاكتئاب أدى إلى إعاقتها عن العمل خارج المنزل، كما أنها – أي والدتها – واجهت عنف في طفولتها. أشارت التقارير الطبية عن Dorothy أنها كانت تعاني ثورات انفعالية مرتبطة بالتغير. فعندما كانت تعود من مدرستها كانت تدخل في نوبة انفعال

(AmeSea Database – ae – January- 2021- 0448)
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من مشهد ما أو شيء ما خطأ حدث لها أثناء اليوم خارج المنزل. إن العجز الذي تعانيه Dorothy كان له تأثير على الأسرة كلها بطرق متعددة. إن الانفعالات التي لا تنتهي والجدل بين الأشقاء وتأثير ذلك على علاقات الأبوين. كل ذلك أضاف إلى اكتئاب الأم وقلل من قدرتها على التوافق. أشقاء Dorothy أثاروا بغضب قضية الاهتمام الزائد الذي تحتاجه شقيقتهم في مهامها اليومية وأصبحوا لا يحبون اللعب معها لأنها غير مسلية أو مبدعة، ونتيجة ذلك أن زادت حيرة انفعالاتها لرفض أشقائها اللعب معها.. أما والدها الذي يشغل منصب إداري متوسط كان هو المصدر الرئيسي للطاقة في الأسرة، إلا أنه أيضاً أصبح عاجز عن حل المشاجرات بين أولاده وحالة اكتئاب زوجته.

اكتئاب الأم Maternal Depression :

يكتب Balbernie (2001 : 249) قائلاً أن المخ النامي للطفل الرضيع يتعرض في نموه إلى ضرر جسيم أو تلف عندما يتعرض هذا الطفل لإهمال أو ضرر ما أو سوء معاملة أو اكتئاب طويل المدى يُصاب الأم. إن مخ الطفل يتشكل بواسطة تفاعلات شعورية مع المخ الناضج لمن يقوم على رعايته (Seigal 1999). ومن هنا، فإن الأم تمثل البيئة الأساسية للطفل الرضيع (Schore 1994:78). إن المخ يبدأ الحياة مع احتماليات متعددة في النمو. إن الاستخدام المبكر للمخ داخل البيئة المشتركة الإنشاء بين الأم والطفل والحلقة الأكبر حولهم، سوف يرعى نمو مسارات اعتمادية الاستخدام (Perry et al. 1995). إن انعكاسات ومفاهيم الحياة الشعورية للطفل الرضيع من جانب الأم. إنما سوف تنعكس في نمو العقل للطفل.

بهذه الطريقة سوف تنمو القشرة المدارية التي هي موقع الفكر الانعكاسي. أما القشرة المدارية الجبهية، هي تمثل الوسط للارتباط الشعوري والحسي والتواصل المعتدل. إنها تساهم في بناء الوعي الذاتي والهوية الشخصية والذاكرة الحلقية Episodic Memory والقدرة على تخيل ذات الفرد في المستقبل أو في الماضي (Balbernie 2001).

تنمو الوظائف، خاصة في النصف الأيمن للمخ، التي تتحكم في الشعور وتقدير المثيرات الداخلة والاتصال الشخصي البحت: في الحقيقة هنا توجد إدارة الشعور. إن القشرة المدارية الجبهية معروف أنها تلعب دور أساسي في توظيف الإشارات الشخصية الضرورية للبدء في التفاعلات الاجتماعية فيما بين الأفراد (Sehore 2001 : 36).

(AmeSea Database – ae – January- 2021- 0448)

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

إن اكتئاب الأم هو شكل من أشكال الإهمال غير المقصود (Zeanah et al. 1997). يُعتقد أن الأطفال الرُضع يتعرضون لحالة اكتئاب قصيرة المدى ممكن الشفاء منها، لكن الاكتئاب طويل المدى يعمل على إتلاف المنطقة الجبهية اليسرى للقشرة اللحائية المدارية والتي ترتبط بالشعوريات الموجهة إلى الخارج (Nelson and Bosuct 200).

إن الأمهات المكتئبات يجدن صعوبة في التجاوب مع الطفل الرضيع، ويؤدي اكتئابهن هذا بصفة خاصة إلى صعوبات معرفية وشعورية للأطفال في عمر ما بين ٦ شهور إلى ١٨ شهر. كما أن هذا الاكتئاب أيضاً يؤثر في عملية الاتصال بين الأم وطفلها (Murray 1997, Sinclair and Murray 1998, Balbernie 2001). هذا الاتصال الذي يلعب دور حاسم في حماية الطفل ضد الاضطرابات العقلية أو الشعورية (Popousek and Papousek 1997 : 38) . إن الأم تدعم نمو القدرات الرمزية للطفل وهذا الدعم يتأثر سلبياً إن كانت الأم مصابة بحالة اكتئاب، أيضاً يتأثر اكتساب اللغة لدى الطفل بذلك. الباحثان Tronick وWeinberg (1997 : 73) يذكران أن اكتئاب الأم له تأثير سلبي قوي على الأداء الاجتماعي والشعوري للطفل، فيقولان أن المخ البشري طبيعياً هو ثنائي التكوين ويُخلق من خلال تفاعل تبادلي. إن الأم السليمة صحياً والطفل يبنيان نموذج للتنظيم المتبادل والذي حال نجاحه يسمح ببناء حالات ثنائية للشعورية، تسمح بالاختلال والإصلاح. إن الأطفال الصغار يشعرون باكتئاب أمهاتهم ويترقبون بشيء من القلق حالة أمهاتهم الشعورية لكي يحمون أنفسهم مما يتسبب في تقييدهم شعورياً. في النظام الثنائي بين الأم وطفلها، فإنه في أثناء اكتئاب الأم يواجه الطفل حرمان من خبرة اتساع حالة الشعورية له بالتعاون مع أمه.

هناك صعوبة في معرفة كيف أن نشأت الأعراض المرضية للطفل حال إصابة الأم بالاكتئاب. هذه الأعراض المرضية في الطفل ربما تكون نتيجة حالة خلل في الانسجام والتوافق معروفة، أو نتيجة أن اكتئاب الأم تكون داخلياً داخل نفس الطفل والذي يصبح عندئذٍ مقيد التفاعل مع المواقف الحياتية. ومن المحتمل أن هاتين الحالتين متداخلتان ومترابطتان، فيقدمان معاً الصورة المقدمة في تقييم الطفلة Dorothy. هذه الطفلة ذكرت أن ليس هناك صديقات في حياتها على الرغم أن هناك أطفال في حياتها أحبتهم.

(AmeSea Database – ae – January- 2021- 0448)
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جلسات التقييم Assessment Sessions :

تذكر Caroline Case في جلسة التقييم الأولى لها، جلست Dorothy منكفئة على نفسها غير قادرة على التحدث أو الاندماج معي أو مع المواد الفنية، فقط كانت تقول "لا أعرف" رداً على محاولات جذبها إلى الحوار. بعد فترة سكون طويلة إلى حدٍ ما، تذكرت أنا في أحد اللقاءات مع أسرتها حديثاً حول حيواناتها الأليفة في المنزل، لذلك سألتها ما إذا كانت ترغب في رسم صورة لحيوان أليف منهم أم لا، في محاولة لإيجاد طريقة لجذبها وجعلها تبدأ التفاعل معي. فقامت برسم صورة لأرنب وصورة لخنزير هندي لكن بدون وجهين لهما أو خصائص وكانا مخيفين، طول كل منهما تقريباً نصف بوصة، وتقريباً مختبئان داخل طرف ورقة الرسم. بدأت Dorothy تتحدث عن حفل عيد ميلادها والتي كانت حزينة بشكل مخيف. قامت بدعوة صديقين لها من المدرسة لهذا الحفل، لكن إحداهما لا تستطع الحضور آنذاك والأخرى قالت لها سوف أحضر، إلا أنهما ذهبا إلى حفل عيد ميلاد بنت أخرى، وعندما حاولت التحدث عن هذا الموقف الذي سبب لها إحباط وخيبة أمل، قالت أنها لا تهتم بذلك.

في جلسات التقييم كانت Dorothy تُحضر معها "ولد لعبة" (Game Boy) وتليفونها المحمول. اعتقدت أن هذه الأشياء تستخدمها كأشياء جامدة ترتبط بها لتتفاعل معها بدلاً من التفاعل مع من حولها من بشر. شعرت بصعوبة الاتصال معها لقوة اندماجها مع هذه الأشياء وتفاعلها حسياً معها وأن محاولة للاتصال معها نتيجتها الفشل.

لاحظت أن كيسة تليفونها المحمول مرسوم عليها صورة الدب "Pooh" فسألتها عما إذا كانت تعرف قصتها وسألتها عن شخصيتها التمثيلية المفضلة لديها، فقالت أنها تحب الدب Pooh وأيضاً تحب الشخصية التمثيلية "Eeyore". يبدو أنها كانت تربط شخصيتها بالأرنب ذو الحِس المرهف وتستمر Case فتقول حاولت في جلوسي معها بث روح الحياة فيها من خلال لعبة الخطوط الملتوية، فلعبتها معي وأبهرتني بقدرتها على رؤية الأشكال بين الخطوط والتفاعل معها. وبينما كنا نلعب كانت Dorothy متأملة ومبتسمة وتحدثت عن الطائرات الورقية وأشياء أخرى في المدرسة.

وتقول Case في تفاعل مع أحد الأشكال رسمتها أنا قامت Dorothy بتقسيمه إلى شكلين اثنين داخل سلة يعلوها منضاد أو بالون على ما يبدو، لكن هذا البالون انكمش، هذه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصورة ذكرتني بعيد ميلاد Eeyore. إذا أنتِي تتـــذكرين الـــدب Pooh و Piglet يأخـــذان برطمان عسل وبالون كهدية له. أكل الدب Pooh العسل ووقع Piglet على الأرض وانفجر البالون لكن Eeyore بأسنانه كان يضع البالون داخل البرطمان ثم يُخرجه منه، ويقول كل من Pooh و Piglet هكذا ممكن أن يخرج البالون من البرطمان بسهولة كما يدخله. وفي بدايـــة القصة دار الحوار التالي بين الدبة Pooh و Eeyore :

Eeyore : "صباح الخير يا – قالها مُنكسراً النفس – وأضاف: "إذا كان هذا صباحاً جيداً، فأنا أشك في ذلك.

Pooh : "لماذا تقول ذلك؟ ما الخبر؟"

Eeyore : "لا شي عزيزي Pooh، لا شيء"، "جميعنا لا نستطيع وبعـــض منـــا لا يستطيع أو لا يعرف، هذا كل شيء".

Pooh : "لا نستطيع ماذا؟" وهو يمسح بيده على أنفه. مرح وغناء "ورقص، هنا نلهو على الحشائش الأرجوانية اللون".

Pooh : "أوه! ثم فكر لفترة طويلة ثم سأله، ما هذه الحشائش الأرجوانية اللون؟

Eeyore : "إنها طيبة القلب" قالها مستمراً في انكسار النفس. "أنـــا لا أشـــكو، لكـــن الوضع هكذا.

تحدثنا قليلاً عن ذلك. إنني شعرت أن حالة عقلها كان خليط من حالـــة الميلانخوليـــا Melancholy لدى Eeyore والفهم الحسي للأرنب لما هو أمامه، والفكر المتجمـــد للـــدب Pooh كما يظهر في سؤال "ما هي الحشائش الأرجوانية اللون؟.

تقول Case : تحدثنا سوياً عن انكماش بالون Eeyore وكيف أنه صنع شيئاً ما منه، وكيف أنه تجاوب مع العطاء بدلاً من الأخذ. وعلى مستوى مختلف كنت أفكـــر فـــي خبـــرة انحسار الثدي الواهب للحياة بالنسبة لـــ Dorothy كطفلة عندما كانت أمها في حالة اكتئاب. في ذلك الوقت قالت لي Dorothy أن مقعدها في الفصل كانت تجلس عليه صديقة لها (دعتها إلى حفل عيد ميلادها) كانت تحبها، إلا أن هذا المقعد جلست عليه بنت أخرى. ممـــا جعلهـــا تشعر بانعدام الأمل في أي شيء.

(AmeSea Database – ae – January- 2021- 0448)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تقول Case : قررت أن أحدد عدد من الجلسات لأرى ما إذا كنت أستطيع الوصـــول إليها وهي تعيش حالة إحساسها المميت هذا، من خلال اللعب وطلبت من زميلي لي العمل مع والديها وقررنا مراجعة عملنا هذا بعد عدد الجلسات هذه على مدى فصل دراسي كامـــل، إلا أنه استمر لمدة عام كامل.

صُنع الاتصال Making Contact :

تقول Case : في الجلسات الفردية معها لم تستطع Dorothy اختيار ماذا تفعـــل أو تصنع وكانت إجابتها "لا شيء" عندما أسألها ما الذي تفكر فيه أو تفعله، أو تقول "لا أهتم". لم ترغب في لعبة الخطوط الملتوية والأشكال مرة أخرى. بصفة عامة هذه الصور الأولى كانت خافتة تماماً وتجريبية باستخدام أقلام الرصاص الملونة. ومع ذلك كانت أهميتها أولاً في قيمة الوقت الذي قضيناه في عمل هذه الصور، وثانياً، كنا نعيش تجربة الاتصال بصورة مباشـــرة بـــ "اللاشعور" مثل السيرياليين، نرسم بدون فِكر أو شعور، والذي بشكل غير معروف ربمـــا يكون السبب في بناء الأرضية بالنسبة لها في التواصل مع رسومات الفنان Salvador Dali. إن صناعة صور غريبة وغير مألوفة تمكن المرضى من أن يخبروك بأشياء غير مألوفة، مما جعل الأمر بالنسبة لي مقبولاً أن أهتم بعد ذلك بالفنان Salvador Dali.

في الشهر الثاني استطاعت Dorothy أن تأخذ المبادرة وتستخدم الصلصال وصنعت الحروف الأولى من اسمها كتأكيد لهويتها. استخدمت مادة البلاستيسين الصلصالية لصـــناعة شكل أطلقت عليه اسم "Fred"، وعملت معها في هذا الشكل النحتي، وهو ثاني شكل نحتـــي بعد الشكل الأول لها (شكل ١)

(AmeSea Database – ae – January- 2021- 0448)
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكل (١)

تحت اسم "مدام / سنومان Mrs. Snowman" ورغبة في لعبة الخطوط والأشكال مرة أخرى. ومن الصور التي أعجبتها صورة "الحلزون البحري السريع" وسبب إعجابها به أنه سريع في كل شيء على عكس الناس البطيئة، وتجاوبت مع لعبة الخطوط والأشكال بشكل سريع وعرضت فكرة من جانبها. إذا أنا اقترحت أنها الآن تختار شيئاً ما لتفعله، فإن ذلك صعب عليها حتى في اختيار المادة.

أما إذا تركتها بمفردها لتفعل شيئاً ما، فأجد أنه إذا جلست فقط أتحدث عن مدى صعوبته، فإنها في النهاية تختار وتبدأ هذا الفعل، لكنها تريد مني أن أصنع شيئاً ما أنا أيضاً. لقد كانت هناك رغبة ألا أنفصل عنها مع إدراكها جيداً لاختلاف دوري ودورها في العلاج. كان من الواضح أنها لا تملك قاعدة أو كفاءة على أساسها تقوم بأن عملية اختيار، وأحسست أنها في حاجة إلى الرسم من خلال اللعب داخل علاقة "الأم بالطفل" لكي أصل على طفولتها. وكان هدفي هنا هو تسهيل بناء الثقة لديها في نفسها بشكل كافي لتختار مادة ما ولكن تبدأ بدون مساعدتي، لذلك بدأت الإعداد لذلك مرحلياً.

Salvador Dali والساعات المنصهرة: Dali and the melting

في الشهر الثالث كانت هناك مرحلة جديدة. بدأت Dorothy في إخباري (هكذا تقوم Case) عن مدرستها وبدأت تسألني "ما الذي تفعليه يسبب المرح"؟ للمرة الأولى أبدت اهتماماً بي وبالآخرين ممن أراهم في العيادة، أيضاً أرادت أن تعرف ما الذي أفعله بعيد عن جلستنا معاً.

(AmeSea Database – ae – January- 2021- 0448)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في حديثها عن مدرستها أخبرتني أنهم كانوا يُنقذون مشروعاً عن السيريالية وبدأت تتحدث عن رسومات Salvador Dali التي عرضتها عليهم مُدرسة Dorothy، والتي أعجبت بصورة منها يظهر فيها أشكال أفيال فاختارتها ضمن مشروع السيريالية الذي أخبرتني به. حدثتني عما يُسمى بـ "الساعات المنصهرة" (إصدار الذاكرة، ساعات اليد اللينة، ١٩٣١) (The Persistence of Memory Soft Wathesl, 1931) وأنها تود أن يصنع كلانا واحدة من الصلصال (لوحة ٤). فبدأنا في تشكيل ساعة من الصلصال وعند ذلك سألتها ما الوقت الذي ينبغي أن تكون عليه الساعة عند الانتهاء منها، فقالت لي أن ساعتي ينبغي أن تكون الحادية عشرة صباحاً وساعتها الثانية عشرة صباحاً عندما ننتهي من تشكيلهما سألتها ما هي فكرتها عن ما يحاول الفنان توصيله إلينا من خلال أعماله؟ فقالت: "يكون الأمر بطيئاً عندما تشعرين بالملل لكن يكون سريعاً عندما تشعرين بالمرح، وظلت تشكل الساعة وتذكرني أن أضع الساعة التي أقوم بتشكيلها على حافة الترابيزة التي نعمل عليها لتبدو كما لو أنها في حالة انصهار. الوقت مر بشكل سريع جداً في أثناء تشكيلنا هاتين الساعتين. نما داخلي الاعتقاد بأن Dorothy كانت تتجاوب من القيمة المختلفة للوقت وهي خبرة تعايشت معها أثناء جلسات علاجها. ففي خبرة علاقتها الشخصية الفكرية معي تغير إدراكها.

يكتب Simon Wilson (1980) في كتالوج أحد معارض لوحات الفنان Salvador Dali في جاليري Tate في لندن، عن "إصدار الذاكرة" Persistence of Memory فيقول أن ساعات اليد اللينة The Soft Watches هي رمز لا شعوري لواقع الوقت والفراغ (Camembert of Time and Space, Dali described Tham)، القصد منه التعبير عن انحسار تصوراتنا حول النظام الكوني الثابت (Wilson 1980 : 16). أما الفنان Salvador Dali يصفها على أنها مثل جُبن "كاميمبرت" Camembert اللين الذي يُصنع في مقاطعة نورماندي الفرنسية. إنها ذات أهمية كاستعارة جنسية وأيضاً للجانب النفسي. Christopher Masters (1995 : 68). هذا الوصف ارتبط بخبرتي كما تقول Case عن حالة Dorothy وتشككي في هذه الحالة وأسبابها. فهناك طريقة ما شعرت فيها Dorothy أنها لم تُولد بعد بمعنى أنها مازالت تأتي إلى الوجود كفرد له حالات تذوقه واختياراته وإرادته الخاصة. هناك أيضاً خارج صعب اختراقه قدمته إلى العالم مع أحاسيس أخرى مختبئة.

(AmeSea Database – ae – January- 2021- 0448)
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الأطفال المصابون بخلل التوافق والانسجام يعانون مشكلات مع الوقت كما يفهمه الشخص العادي ويرتبط به، يواجهون مشكلات في تتابع وفهم الماضي والحاضر والمستقبل، وذاكرتهم ضعيفة وصعوبة في تذكر المعلومات. أوقات اليوم والمواسم والروتين معناها مفقود بالنسبة لهم. وفي محاولة للإحساس بذات الفرد داخل هذه الحالة للعقل، إنما تشبه كما لو أنه يعيش في حالة لاشعورية تشبه الحلم مع عدم وجود محددات بنائية. من المحتمل أن رسومات Salvador Dali أعطت Dorothy المعنى الحسي للتمييز والإدراك وهو شكلاً ما لخبرتها، فالصور التي اختارتها من بين هذه الصور تُجسد خبرة عالم داخلي، وإعادة رسمها ساعدها في البدء في عملية بناء ثقافة شعورية.

لعب الكرة Playing ball

في الجلسة العلاجية التالية لاحظت Dorothy للمرة الأولى أن هناك كرة موجودة داخل صندوق اللعب. بدأت تلعب بها داخل الغرفة، ثم ألقتا في اتجاهي لتجربتها هكذا قالت Case، فألقيتها بدوري عليها، لعبة تكررت هكذا بشكل تدريجي حيث كل منا عليه أن يُلد فعل الآخر، لذلك ظللنا نلقي الكرة بطرق كثيرة غريبة. لم يكن أي منا يعرف ما الذي يقصده الآخر، لذلك كان لزاماً علينا ملاحظة تعبيرات كل منا للآخر بدقة وكذلك أفعالنا. على سبيل المثال، قمت أنا بتنطيط الكرة مرتين ثم ألقيتها في الهواء ثم ألقيتها إليها، لكن الكرة سقطت على الأرض قبل أن تصلها، وكان عليها إعادتها إلى مرة أخرى بنفس الطريقة تماماً. وكان ذلك ضاغطاً عليها عندما قلدت ما فعلت لأنه كان ينبغي عليها أن تتذكر تتابع زمن قصير لمجموعة من الأفعال. ذلك التتابع أحد الصعوبات التي يواجهها المصابون بخلل الانسجام والتوافق. وممارسة هذه اللعبة تعني أنه ممكن التعامل مع الصعوبة التي تواجهها، وتفاعلنا المكثف للملاحظة الدقيقة لبعضنا البعض استطاعت فعل ذلك. لقد كنت مندهشة عندما توقفنا.

توقفنا لقرب نهاية جلستنا معاً. أحسست أن هذه اللعبة أبعدتها عن حالة اكتئاب أمها وجعلتها قريبة من حضورها وغيابها، بما يعني أن لعب الكرة ممكن أن يقود إلى نوع من إعادة الشحن النفسي والمعنوي الإيجابي، مع حيوية أكبر لحركة الجسم والتي ممكن دعم طاقتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنه جزء من تفاعل "الأم/ الطفل" أن يُلاحظ كلاهما ردود فعل الآخر، وجزء من حاجة الطفل لمثل هذا الاهتمام الشديد والاستجابة الحيوية مع عقل مليء بالحيوية، عوامل وجودها شديد الأهمية لحدوث النمو العقلي. فنمط محاولة تجربة شيء جديد باستخدام المواد وبعض الحديث عن هذا الشيء. ثم بعد ذلك جاء اللعب الهادئ بالكرة والذي سمح لـــ Dorothy أن تتواجد معي من اللعب بلا متطلبات أخرى، انتكاسة ضرورية وهي حالة لم يكن ينبغي لها أن تفكر أو تحاول أن تتصور في ذهنها.

Salvador Dali والبيض المقلي على الطبق بدون طبق: Dali and Fried Eggs on the Plate Wihout the Pl ate

بعد انتهائنا من تشكيل الساعات من الصلصال كما تقول Case قمنا بتلوينها بعد جفافها. قالت Dorothy مرة أخرى أن الوقت يمر بسرعة عندما يكون الإنسان في حالة متعة لكنه يمر ثقيلاً عندما يكون الإنسان في حالة ملل. هذه المرة زادت قدرتها على معايشة المزيد من الخبرات لكن احملها عبئاً ضاغطاً. اختارت أن تعيد رسم لوحة لـــ Salvador Dali تحت عنوان "البيض المقلي على الطبق" ١٩٣٢. وقالت لي أن مدرستها لم تعرض عليهم كل الرسومات في المدرسة لأن بعض منها فيها شيء من الوقاحة. من المحتمل أن الصور السيريالية أعطتها التصريح باللعب كما توقعت أنا. هذه الصورة تحدت طريقة Dorothy المعتادة التي بها تنظر إلى العالم من حولها ومنحتها صورة لخبرة داخلية مختلفة. بينما كنا ننتظر جفاف الألوان، لعبنا معاً "تقليد القطة" بالكرة وهي لعبة مرحة وتحتاج للتركيز كما أنها تمنح مزيد من التفاعل في النهاية لهذه الجلسة لم تشعر Dorothy بأي فراغ شعوري.

في الجلسة التالية قررت Dorothy أن تُلون البيض وفعلت ذلك بعناية ولم تطلب مساعدتي، إلا أنها وقفت أمام اختيار اللون المناسب وطلبت مني مساعدتها وساعدتها بالفعل في ذلك، وبدلاً من إعطائها مزيد من الإيضاح، ذكرتها بكل الألوان التي ابتكرتها عندما قامت بتلوين الساعات المنصهرة الأسبوع السابق واقترحت عليها أن تبدأ خلط الألوان وترى نتيجة ذلك عندئذٍ. استطاعت خلط اللون الموف (البنفسجي) ولونت (شكل ٢)

(AmeSea Database – ae – January- 2021- 0448)

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

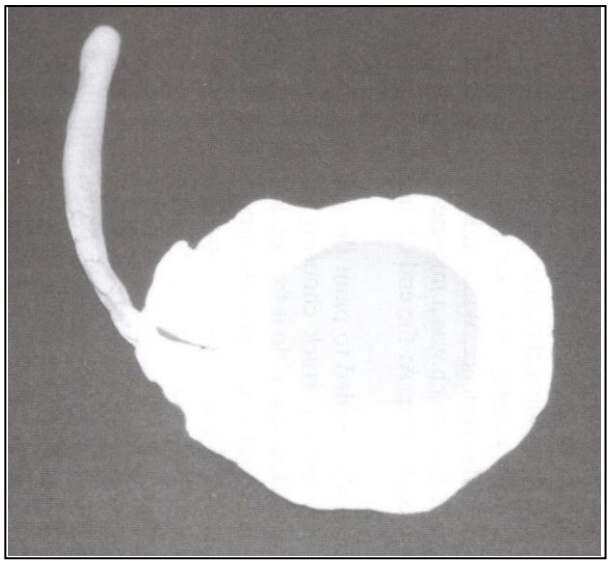

شكل (٢)

إن البيض لا يملك القوة التي تحميه من الكسر داخل مشهد الصحراء الجافة بلا قشرة أو طبقة يُوضع عليه. يكتب Neret (2002 : 29) عن المشاهد الطبيعية في رسومات Salvador Dali بأنها من ميراث الرسومات الرومانتيكية الأوروبي في بداية القرن التاسع عشر والتي كان موضوعها الرئيسي هو تأمل الإنسان في مكونات الطبيعة وفي لانهائية الوقت والفراغ، وإدراكه لعزلته الفظيعة داخل هذه الطبيعة. هذه الطريقة للعمل داخل الاستعارة ممكن أن يتجاوب الطفل معها أو لا يتجاوب. وبينما تتقدم جلساتها العلاقية بدأت تقليل مشاركتي منها بفاعلية في النحت. وسلكت طريق تشجيعها لتأخذ المبادرة في اختيار ما تصنعه وتفعله بمفردها. إنني على علم أنها بطيئة في المدرسة ونادراً ما تنتهي من الأشياء المطلوبة منها، لكن في الحقيقة، ممكن إدخال سلوكها البطيء هذا داخل إطار إيجابي للعمل، مثالاً على ذلك ظِل الألوان التي ترغب فيها، ممكن تحفيزها وتسريعها على عملها بسرعة.

امتلاك المرح Having Fun :

كان هناك بشكل متلاحق أسبوعياً كثير من الأسئلة هكذا نقول Case ، على سبيل المثال. هل امتلكت المتعة، ما الذي أفعله يكون مرح؟ فقد كان هناك تطلع من Dorothy لمعرفة كل شيء عني وحياتي وأسرتي، وأيضاً تطلع إلى معرفة الطرق الجديدة والمختلفة عن قيمة الحياة وكينونة الإنسان. في هذه الطريقة كنت أنا أمثل شخصية انتقالية بين Dorothy وكل من أسرتها والعالم الخارجي. إن لعبة "تقليد القطة" يبدو أنها كانت طريقة لصناعة اتصال

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مُقرب الذي هو المرح. أيضاً ساعدت في عودتها إلى الحياة بعد أن كانت بطيئة وجامدة التفاعل النفسي والحسي. بعد ذلك أصبح من الممكن أن تلعب مع الأشياء غير المنظمة، في لعب الكرة مع ما هو غير متوقع وغير معقول، لكن بطريقة غير مسيطرة إلى حد كبير، ولأنها لعبة مرحة، أصبحت تتحمل الأشياء التي تسير خاطئة بعد أن كانت لا تتحملها.

تطورت ألعاب الكرة من "تقليد القطة" إلى إلقاء الكرة لبعضنا البعض، ثم محاولة خداعنا لبعضنا البعض مثل متى وأين يلقي كل منا الكرة، ثم في النهاية إلى لعبة كرة القدم. في كل هذه الألعاب كانت الكرة هي العنصر الثالث، دائماً تعرض حياتها الخاصة، ترتطم بالأشياء، تتدحرج أسفلها، فأعجبت Dorothy بهذا العنصر غير المتوقع والتعليقات من كلانا عن إلقاء الكرة. هناك شيئاً ما عن إدخال الكرة في اللعب يؤدي إلى الضحك، سواء في ارتدادها أو في تنطيطها أو خبطها في رأسك أو فشلك في إمساكها أو أي شيء غير مألوف بالنسبة لها.

الأسبوع التالي تحدثت Dorothy عن صديقة جديدة لها، يبدو أن حياتها المدرسية بدأت تكون أكثر اجتماعية، حيث أشارت صديقة جاءتها لتقضي معها الليل في منزلها، وأن زملائها من الأولاد كانوا يغنون لها الأغاني السخيفة. وأصبحت منفتحة على عالمها الداخلي وقادرة على الاتصال مع الآخرين وأخذت لذاتها صفة المرح.

الانتقال إلى المرحلة الثانوية Move to Secondary School :

في العمل الأسري، كان انتقال Dorothy إلى المرحلة الثانوية يسبب توتر شديد لوالديها. كيف تتصرف مع التغير الذي سوف تواجهه، كيف تجد لها طريقاً مع مدرسين ومدرسات جدد عليها وطريقاً مع المناهج الجديدة؟ كما كان والديها يشعران بالقلق أيضاً من عدم تلقيها المساعدة الكافية. بعد أجازة عيد الفصح كانت Dorothy تبدو بطيئة وتفتقد للطاقة، كل شيء كان يبدو قاتم وبلا حياة، قالت أنها تحب اللعب مع أرنبها لكن كان عليها الحد من ذلك لأنه كان يضع ذقنه على صدره عندما تكون في المدرسة، وهذا ما يحزنها ويمنع عنها المرح. استطاعت التعبير عن كل هذه الأحاسيس من خلال حديثها عن أرنبها، وقالت Case وأنا ربطت ذلك بأجازة عيد الفصح وافتقادها لجلساتها العلاجية معي. عندئذٍ طلبت مني لعب الكرة وأصبحت أكثر تأملاً، تضحك على ارتطام الكرة مع الأشياء في الغرفة ووقوعها في

(AmeSea Database – ae – January- 2021- 0448)
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أماكن داخلها غير متوقعة، لعبنا سوياً وضحكنا على حركات الكرة. بعد ذلك صنعت Dorothy مركب صغيرة بيضاء اللون من مادة البلاستيسين الصلصالية ثم وضعته يطفو على سطح الماء داخل حوض وسعدت بذلك كثيراً، شعرت أنها تطفو بمشاعرها مع التفاعل مع الكرة. في النهاية رسمت صورة بيضاء اللون على ورقة سوداء اللون لإطارات من المباني وأطلقت على هذه الصورة اسم "الصورة السوداء" ومن الواضح أنها ارتبطت بحالة الاكتئاب التي أصابتها بسبب عدم وجود من يلعب معها في أجازة عيد الفصح.

Dorothy والبراغيث Dorothy and The Shrimps :

لمدة عام تقريباً بعد أجازة عيد الفصح تقول Case ، أحضرت Dorothy معها ثلاثة براغيث خليطة Threa hybrid shrimps داخل زجاجة صغيرة مقفولة بفلينة من أعلى. كانت "قردة البحر" "Sea Monkeys" كما يُطلق عليها وتدب فيها الحياة وذات حركة سريعة في اتجاهات مختلفة داخل الزجاجة. كانت هذه البراغيث شفافة تقريباً. قالت لي أن البرغوث الأكبر حجماً يكون ذكر وأن الأنثى فيها أكياس من البيض، حيث اعتقدت أن النمش (البقع) الصغيرة الحجم بيض براغيث. هذه البراغيث اشترتها من أحد محال السوبر ماركت. أخبرتني Dorothy أنها وأمها الأسبوع السابق قامتا بتنظيم وتنظيف بدروم منزلها ووجدا داخله إناء فقررا أن يستخدمانه مرة أخرى، كما عثرا على حقائب مليئة بملابس أطفال وبعض لعب الأطفال القديمة المحببة منذ طفولتها المبكرة. هذا التعاون مع أمها في تنظيف بدروم المنزل دلالة على أن المحتويات النفسية في علاقتهما معاً دبت الحركة فيها أخيراً. لقد اشتركا معاً في زيارة طفولتها المبكرة من خلال البحث عن آنية لوضع البراغيث فيها والتي تقترح التغذية والقدرة على رعاية الطفل.

في العمل الأسري، بدأ والديها يفهمان كيف أن الماضي محتمل أن يؤثر في العلاقات الحالية داخل الأسرة، فالعمل الأسري جعل والدة Dorothy تحاول البحث عن طرق جديدة في تكوين العلاقات مع أطفالها وأيضاً كيفية التعاون مع زوجها في التعامل مع المواقف الصعبة. على سبيل المثال، قالت لي Dorothy أن أمها طلبت منها أن ترى البراغيث الحية، وهذه درجة اتصال مثيرة مع Dorothy من جانب الأم، فيبدو أن البراغيث عملت على تحريك جزء جديد في علاقتهما معاً، كلاهما كانتا جامدتين النفس بالنسبة له، هكذا حال

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البراغيث عندما وضعت في الماء. فالإناء الذي عثرا عليه في بدروم المنزل أمكن أن يـوفر بيئة تشبه بيئة الرحم للبراغيث. أمكن أيضاً للأسرة كلها أن تراعي الجوانب الطفولية لأفرادها (asw 2005).

الجسور والـروابط Bridges and Connections : نظـرت Dorothy داخـل الملف الخاص بها وأخرجت صورة لفرخ طائر باللونين الأحمر والأسود رسـمتها الأسـبوع السابق. لم تتذكر شيئاً ما عن رسمها وهكذا دائماً ما كانت حالتها عندما تبدأ الجلسة محاولـة تذكر ما الذي فعلته الأسبوع السابق. قالت عن هذه الصورة أن هذا الطـائر الصـغير يبـدو غاضباً لكن عيناه مرحتان، فتحدثت معها عن غضب هذا الطائر الصغير وربطت ذلك بفترة الأجازة وعدم وجودي معها هكذا قالت Case، كما تحدثت أيضـاً عـن نسـيانها الأشـياء والأحداث التي مرت بها في الأسبوع الذي يسبق الجلسة التي نحن فيها، وحاجتها إلى جسـر يربط بين الجلسات ليبقي عليها في حالة اتصال خاصة في فترات الأجازات. إن حالة النسيان التي تعانيها منها واجهتنا كثيراً في مرحلة العلاج لكن هذه المرة كانت محور تركيزنا بجدية.

يرى Damasio (2000 : 186) أن أساس الشعورية هو وجود قصة غير لفظيـة مصورة والتي تغطيها كلمات بشكل ثانوي "القصة غير اللفظية للمعرفة". من بين الصعوبات التي واجهت Dorothy في اللعب والحياة بصفة عامة هي عدم قدرتها على التخيل أو عـدم استطاعتها تكوين صورة ذهنية. فالخلل في التوافق والانسجام ليس هو التعامل مـع مشـكلة عصبية لكنه يبدو الفشل في تفسير الرسائل من المخ. ويقول Domasio (1994) أن العقـل يتجاوب مع الصورة التي نتخيلها بنفس الطريقة التي يتجاوب بها مع الصورة التي يراها. إن Dorothy استطاعت أن تتجاوب مع خط في الصفحة لكن وجدت صعوبة في تكوين صورة في ذهنها للصفحة.

أظهرت الأبحاث على النصفين الأيمن والأيسر للمخ وجود نشاط في جانبي المخ عند حدوث الصور العقلية وصناعة الفن، على الرغم أن الجانب الأيمـن للمـخ يـرتبط أساسـاً بالبصيرة الذهنية والابتكارية. كما أظهرت نتائج هذه الأبحاث أن الأحاسيس والشعور تساعدنا في توقع مستقبل غير مؤكد والتخطيط للأفعال طبقاً لذلك. ويرى Damasio (1994 : XV) الأحاسيس على أنها صورة تتجدد باستمرار لبناء الجسم وحالته، وفي هـذه الطريقـة تعمـل

(AmeSea Database – ae – January- 2021- 0448)
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأحاسيس على أنها حلائل داخلية. ووجد Damasio رابطة قوية بين مجموعة من مناطق المخ تؤدي عمليات التبرير المنطقي وصنع القرار على المستوى الشخصي والاجتماعي وكذلك توظيف العواطف. فالعاطفة والإحساس هما جزء من الميكنة العصبية بالنسبة للتنظيم البيولوجي. ويرى هذا الباحث أن جزء كبير من المعرفة يتم استدعاؤه في شكل صور من مناطق عديدة في المخ. إننا نستعيد ذاكرة الصورة ونترجمها إلى شكل لغوي ونضعها في اهتمامنا. نحن في حاجة لإبقائها فاعلة في عقولنا وأن نملك ذاكرة عملية فائقة التنظيم. إن المخ لديه القدرة على عرض الصور داخلياً وتنظيمها في عملية يُطلق عليها "الفكر" والتي بدورها تؤثر في سلوكنا في المستقبل. إننا بصورة أساسية نعيد بناء الذاكرة من التجسيدات المخزنة المكونة من خبرات الماضي.

ويندمج ذلك مع الصور المفاهيمية والصور المستدعاه من الماضي، والمستقبل المصور. ويقترح Damasio أن العواطف والأحاسيس هي جزء محوري في التنظيم البيولوجي. كما أنها تمثل الجسر الذي يربط بين العمليات المنطقية وغير المنطقية، بين التركيبات الدماغية وغير الدماغية (1994:128). في "مشهد العقل" لنا، ترتبط الصور بخليط من الاختيارات للأفعال والنواتج. إن الجسم بشكل أساسي يمد بالمرجعية الأساسية للعقل.

تجاوبت Dorothy مع تفكيري هكذا تقول Case عن "الجسور" بمعناها الحرفي، فأحضرت مادة البلاستيسين وبدأت تشكيل جسر عبر نهر رسمته على ورقة (انظر شكل٣)،

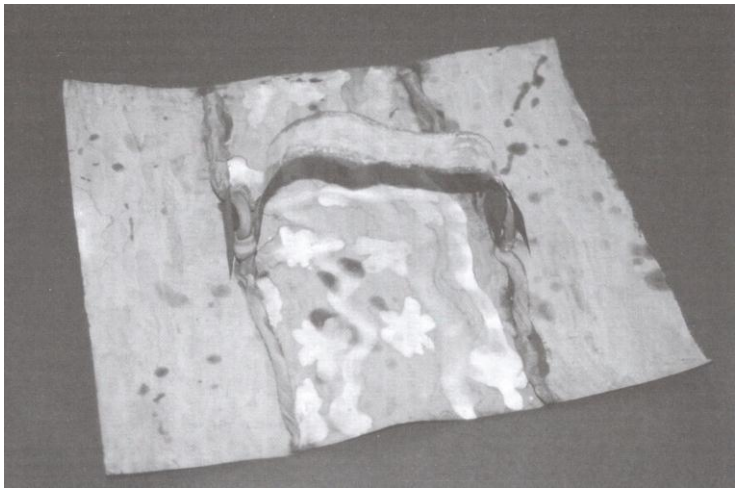

شكل (٣)

(AmeSea Database – ae – January- 2021- 0448)

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

وتوجد بوابتين "gateways" إلى النهر على جانبيه ذات مساحات كبيرة ممكن للناس أن يلعبوا فيها أو يبحرون بمراكبهم عندها. وفي الجلسات التالية عملت Dorothy جسور كثيرة، وما أدهشني أنها بدأت تتذكر ما الذي كانت تصنعه في الأسبوع السابق للجلسة في حينه. فكان الأمر كما لو أنه يبدو فعلياً صناعة لمجموعة من الجسور مكنت من إنشاء جسر في فكرها فيما بين الأحداث لتبدأ في التكوين تقول Case : وفي اللقاء الأسري التالي لهذه الجلسة، أخبرتني والدتها أن Dorothy اشترت لعبة من الفرو في شكل كلب (أو لعبة لينة لها) والتي مثلت بداية الشيء الانتقالي وسمحت بمزيد من اللعب والنمو.

الانتهاء Ending :

تقول Case في التيرم الصيفي ناقشت القلق الذي ينتاب والدي Dorothy حول دخولها مدرسة جديدة لكن في الحقيقة كان لديها إحساس بثقة كبيرة وإحساس بالسرور لأن اثنتين من صديقاتها سيذهبان معها إلى المدرسة الجديدة. كان أداء Dorothy في آخر امتحانات لها جيداً خاصة في مادة العلوم. قبل بدايتها في المدرسة الجديدة قررت تشكيل ساعة منصهرة جديدة. قامت بتجربة تصميمات مختلفة لها وليس بها أرقام، مجرد خطوط فقط للعقارب، لكن في النهاية عملت أربعة أشكال لحشرة النحل لتوقيتات الساعة الثانية عشرة والتاسعة والسادسة والثالثة وبعض القطع المنصهرة.

تقول Case : في الجلسة التالية تلقيت رسالة بأن Dorothy لم تكن ترغب في الحضور مرة أخرى والسبب في ذلك أنها بدأت الدراسة في المرحلة الثانوية بشكل ناجح ولا ترغب في ترك فصلها. اتفقنا على اللقاء لمناقشة الموقف وأدركت وقتها إحساسها ورغبتها القوية في التواجد في المدرسة الوقت كاملاً. ووالديها لم يرغبا في التوقف عن ذلك، لكني أعتقد أنها أصبحت أكثر قدرة عما كانت عليه قبل ذلك وأكثر مما يدركه والديها وأنها اختارت المدرسة لأنها اندمجت مع المواد وزميلاتها في المدرسة الجديدة.

تقول Case إن من أهداف العلاج جعل الأطفال يصنعوا اهتماماً جديداً بالعلم من حولهم وتعايشهم مع الواقع فيه. لم يكن ممكناً تحديد جلسة لـ Dorothy بعد المدرسة، عندما التقينا لمناقشة الموقف وللتفكير في كيفية إنهاء العلاقة العلاجية بيننا، حدثتني عن مدرستها

(AmeSea Database – ae – January- 2021- 0448)
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجديدة بصورة حماسية ومثيرة وعن تلك العلاقات الجديدة التي كونتها والتفاعل المرح والعملي مع من حولها.

حفلة عيد الميلاد Birthday Party :

تقول Case في حفل عيد ميلادها تجمعنا في شكل دائرة كاملة، وفي هذا العام وجهت الدعوة لثلاثة من صديقاتها في المدرسة الجديدة وحضروا جميعهم، وتخيلوا أنها أرادت أن تلعب لعبة الخطوط والأشكال معي وأدائها كان رائعاً وابتكارياً بدرجة كبيرة.

في جلساتها الأخيرة مارسنا اللعب بالكرة وفي كل جلسة كانت تعيد دهان الساعة المنصهرة، كما ناقشت معها كل ما فعلنا طوال فترة الجلسات السابقة كلها. في هذه الجلسات ظهر إحساسها بالوقت وأهميته، وفي كل جلسة كانت تحكي لي قصص مرحة في مدرستها وعن مواجهتها أشياء خاطئة كثيرة لكنها كانت تتعامل معها وعن متعتها من الدروس الجديدة رغم أنها أحياناً ما كانت دروس مملة. آخر ساعة منصهرة كانت مضبوطة على الساعة التاسعة تماماً.

موعد بدء اليوم الدراسي. في الجلسة الأخيرة أرادت أن تأخذ كل شي معها وكانت تهرع إلى الحمام عندما أتحدث عن نهاية علاقتنا ثم تأتي بعد ذلك لتضيف المزيد إلى صورتها الأخيرة التي رسمت فيها نهر فيه حيوانات كثيرة خلفها منازل وممر إلى المياه يربط بين أنهارها السابقة وجسورها. هذا النهر يمثل اللعب الاندماج داخل الجلسة، والجسور تمثل الروابط بين الماضي والحاضر، بين الشعور واللاشعور، بين ما هو معروف وما هو غير معروف.

خاتمة Conclusion

كتبت Case في حالة الطفلة Dorothy كان هناك عرض مختلط للأعراض المرضية تعاملنا معه ويتمثل في خلل التوافق والانسجام والاكتئاب. وهنا وصفت طريقة مختصرة المدة (داخل فترة تيرم دراسي لكل مجموعة جلسات) في العمل مع طفلة تشعر بالانسحاب وصعب الوصول إلى عالمها الداخلي. كانت لعبة الخطوط والأشكال ذات أهمية كبيرة في إظهار استجابة حية من جانب Dorothy مما أمكن اللعب معها، كما أن لعب الكرة كان أساسياً في منهج علاجها، وأحد أهم جوانبه ملامسة جانب الحيوية فيها وحاجتها لتكوين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علاقة والتعايش معها، مما ساعدها على التوافق مع علاقات في عالمها المحيط بهـا خـارج نطاق العلاج. ومن الجوانب الأخرى الإحساس بالمتعة والمرح من أفعال استخدام الكرة فـي اللعب. فلعب الكرة في صورته الجامدة يعمل كنموذج لتبـادل الأفكـار والأحاسـيس بـين شخصين. وبجانب ذلك، العلاج الأسري جعل الوالدان يتحدثان عن طفولتيهمـا وديناميكيـات الأسرة فيما بين أفرادها.

إن خلل الانسجام والتوافق هو ضعف في الأداء الوظيفي في فعـل الأشـياء، وهنـا وصفت اللعب وصناعة الفن والمشاركة المباشرة للطفلة Dorothy فيهما، ثم تدريجياً بـدأت الانسحاب شيئاً فشيئاً في كل مرة تظهر فيها المبادرة في فعل شيء ما. عندما يلعب الأطفـال معاً، فإنهم يستخدمون ذواتهم كاملة، وهذا يسمح باكتشافهم لها، وفي ذلك ممكـن أن تحـدث المفاجآت، أما في الشيء الانتقالي هناك لعب متبادل: بين الأصلية وقبول التقليـد (العُـرف) كأساس للابتكارية والانفصالية والعمل المشترك. في رسومات Sawador Dadi أعتقـد أن هناك دمج بين التقاليد والابتكارية حيث يظهر ذلك في أخذ Dorothy لعناصر الرسم وتنفيذها مرة أخرى. وبهذه الطريقة استطاعت بناء ثقافة شعورية فهذه الصور ساعدتها في بناء لغـة من خلالها تعثر على الأشكال للإحساس الداخلي. أما صعوباتها الخاصة في بناء تصـويرية ذهنية تقترح أن صناعة صور ثنائية وثلاثية الأبعاد قـد سـاعدتها فـي اكتشـاف الأفكـار والأحاسيس الخاصة بها.

Conclusion:

Case Writes : In Dorothy's case there was a mixed presentation at assessment of symptoms to do with known dyspraxia and depression. I have described quite a short-term way of working to try and engage a child who feels withdrawn and hard to reach.

Winnicott's squiggle game elicited a lively response and we were able to work together, until Dorothy was able to ork spontaneously. The ball-playing together during this seemed to be essential. One aspect of this is the touching base with my liveliness, and the need to be 'in relationship'. This new relationship allowed Dorothy to internalize a liveliness of being together that could transfer to relationships outside the therapy. Another aspect is the natural fun that develops once a ball is in play that can offer surprises. In a concrete way ball-playing can act as a model for the exchange of thoughts and feelings between two people. Alongside this,

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

parent work enabled both parents to talk about their childhoods and the family dynamics in which they could all get caught up.

Dyspraxia is a dysfunction of 'doing' and I have described play and art work where I have engaged very directly with the child and then gradually withdrawn as she was able to take initiative. Winnicott uses his understanding of creativity in terms of one's whole attitude to external reality. When children and adults play together, they both use their whole personality. It allows the discovery of the self, in that the surprising can happen. In a transitional object there is interplay: between originality and acceptance of a tradition as the basis of inventiveness as Dorothy took elements of paintings she had seen, and made them her own. In this way she was ablt to develop an emotional literacy. The found images helped her to develop a language in finding forms for inner feeling. Her particular difficulties with accessing menal imagery suggested that making two- and three-dimensional images helped her in discovering thoughts and feelings of her own.

References:

Balbernie, R. (2001) Circuits and circumstances: the neurobiological consequences of early reltationship experiences and how they shape later behaviour. *Journal of Child Psychotherapy*, 27(3): 237-55.

Case, C. (1987) A search for meaning: loss and transition in art theraphy, in T. Dalley, C. Case, J. Schaverien, F. Weir, D. Halliday, P. Nowell Hall and D. Waller (eds) *Images of Art Therapy: New Developments in Theory and Practice*. London: Tavistock.

Case, C. (1996) On the aesthetic moment in the transference, *Inscape*, 1(2): 39-45.

Case, C. (2000) Our Lady of the Queen: journeys around the maternal object, in A. Gilroy and G. McNeilly (eds) *The Changing Shape of Art Therapy*. London: Jessica Kingsley.

Case, C. (2005) *Imagining Animals: Art, Psychotherapy and Primitive Studes of Mind*. London: Routledge.

Case, C. and Dalley, T. (2006) *The Handbook of Art Therapy*, 2nd edn. London: routledge.

Damasio, A. (1994) *Descartes' Error: Emotion, Reason and the Human Brain*. New York: Putnam.

Damasio, A. (2000) *The Feeling of what Happens: Body, Emotion and the Making of Conciousness*. London: Vintage.

Harison, C. and Wood, P. (eds) (1992) *Art in Theory 1900-1990*. Oxford: Blackwell. Masters, C. (1995) *Dali*. London: Phaidon.

Milne, A.A. ([1926] 1973) *The Complete Collection of Stories and Poems*. London: Methuen.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

Murray, L. (1997) Post-partum depression and child development, *Psychological Melicine*, 27: 253-60.

Nelson, C.A. and Bosquet, M. (2000) Neurobiology of fetal and infant development: implications for infant mental health, in C.H. Zeanah (ed.) *Handbook of Infant Mental Health*, 2nd edn. New York: Guilford Press.

Neret, G. (2002) *Dali*. Cologne: Taschen.

Ozenfant, A.J. (1952) *Foundations of Modern Art* (trans. John Rodker). New York: Dover.

Papousek, H., and Papousek, M. (1997) Fragile aspects of early social integration, in L. Murray and P. Cooper, (eds) *Postpartum Depression and Child Development*. New York: The Guilford Press.

Perry, B.D., Pollard, A., Blakeley, T., Baker, W. and Vigilante, D. (1995) Childhood trauma, the neurobiology of adaptation, and 'use-dependent' development of the brain: how 'states' become 'traits', *Infant Mental Health Journal*, 16(4): 271-91.

Schore, A.N. (1994) *Affect Regulation and the Origin of the Self. The Neurobiology of Emotional Development*. Hillsdale, NJ: Erbaum.

Schore, A.N. (2001) Effects of a secure attachment relationship on right brain development, affect regulation and infant mental health, *Infant Mental Health Journal*, 22(1-2): 7-66.

Seigal, D.J. (1999) *The Developing Mind: Towards a Neurobiology of Interpersonal Experience*. New York: The Gouilford Press.

Sinclair, D. and Murray, L. (1998) The effects of post-natal depression on children's adjustment to school, *British Journal of Psychiatry*, 172: 58-63.

Tronick, E. and Weinberg, M.K. (1997) Depressed mothers and infants: failure to form dyadic states of consciousness, in L. Murray and P. Cooper (eds) *Postpartum Depression and Child Development*. New York: The Guilford Press.

Wilson, S. (1980) Tate catalogue: Dali exhibition. London: Tate Gallery.

Winnicott, D.W. (1971) *Playing and Reality*. Harmondsworth: Penguin.

Zeanah, C.H., Boris, N.W. and Larrien, J.A. (1997) Infant development and developmental risk: a review of the past ten years, *American Academy of Child and Adolescent Psychiatry*, 36(2): 165-78.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com